تأملات في الرسالة إلى فيليبي

هاملتون سميث

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الأخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الأخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

محتويات الكتاب

تقديم الرسالة	٢
الإصحاح الأول: فرح المؤمن في الأحزان	٧
الإصحاح الثاني: المسيح كالنموذج الكامل للمؤمن	١٢
الإصحاح الثالث: نبع أفراح المؤمن	١٩
الإصحاح الرابع: المسيح هو فرح المؤمن	٢٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقديم الرسالة

"فيلبي" مدينة في شرق مكدونية والاسم القديم لها "كرنيدز". وتقع على بعد تسعة أميال من بحر إيجة. خلع عليها الملك فيليب أبو الإسكندر اسمه عليها. أما أُغسطس قيصر فجعل من هذه المدينة مقاطعة رومانية. زارها الرسول بولس رسول الأمم العظيم في رحلته التبشيرية الثانية, وزارها كأول مدينة في أوربا منادياً فيها بنور الإنجيل.

كان بولس وسيلا في حيرة إزاء الباب المغلق في خدمة الإنجيل في آسيا. ثم رأى بولس رؤيا رجل مكدوني يمد يديه غليه قائلا أُعبر إلينا وأعنا, ويتحقق بولس أن الرب يدعوه للتبشير هناك. وخارج المدينة عند نهر حيث جرت العادة أن تقام الصلاة هناك لبعض النساء فيذهب بولس وسيلا إلى ذلك المكان, إذ ليس في المدينة مجمع يهودي. وعند ذلك النهر كان للروح القدس عمل حقيقي واضح في قلب امرأة متعبدة للّه وهي ليديه بياعة أرجوان, فانفتح قلبها لتصغي إلى ما يقوله بولس ثم اعتمدت مع أهل بيتها, وظهر الثمر الحقيقي عندما فتحت بيتها وألزمتهما بالدخول والبقاء, ونعرف بعد ذلك أن الاخوة كانوا يجتمعون في بيتها.

وبينما كان بولس وسيلا ذاهبين إلى مكان الصلاة عند النهر اعترضتهما جارية بها روح عرافة "بيثون" وتبعتهما أياماً كثيرة مرددة القول "هؤلاء هم عبيد الله العلى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص", فضجر بولس من الروح الشرير وطرده منها في الحال, مما أثار بلبلة شديدة حولهما, فامسكوهما ووضعوا عليها ضربات كثيرة بالعصى وألقوهما في السجن. وجاءت الأوامر من الولاة لحافظ السجن أن يتم التشديد على حراستهما وضبطهما, فطرحهما في السجن الداخلي واضعاً أرجلهما في المقطرة.

ونحو نصف الليل كانت أصداء الصلوات والتسبحات للّه تملأ ردهات السجن ويسمعها المسجونون. وما اعجب تلك الأواني التي يتصاعد منها بخور الصلوات والتسابيح, فهو لبان موضوع على جمرات الألم والشهادة فتنشر رائحة طيبة, إنها لم تختلط بالتذمرات والشكايات, ولا بالمرارة والضيق, بل بالحرى طرحا القضية برمتها للّه بالصلاة, وامتلأت أفواههم بالتسبحات الإلهية برهانا على قوة الرجاء بالظفر الكامل على كل شيء. ما أجملها شهادة لأولئك العبيد الذين اظهروا التصرف بنعمة اللّه بكل وداعة إزاء المقاومات والافتراءات, والتسليم للّه في مواجهة الاضطهادات مع الصلاة والتسبيح في أحلك ظلمات السجن.

أما إجابة اللّه إزاء كل هذا هو حدوث "زلزلة عظيمة" لزعزعة أساسات السجن وفتح الأبواب في الحال. ويا لها من رعبة تهز كيان الإنسان خاصة حافظ السجن الذي كان تحت التعاملات الإلهية. وكأن اللّه يعلن بشكل صريح رفضه لما عمله الأمم إذ وضعوا رسوله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في السجن. وهذا معناه رفضهم للمسيح. وكما فعل اليهود بالأنبياء ورسله ثم بالمسيح إذ قتلوه معلقين إياه على خشبة, هكذا فعل الأمم برسل المسيح. لقد صلب العالم يسوع بين لصين, كذلك طُرح بولس وسيلا بين مجرمين, وهذا هو تقدير العالم للمسيح ورسله. والصحيح أنه لا يجب أن تكون السجون مكاناً للذين يبشرون بالمسيح وبإنجيل الخلاص. في بداية خدمة الرسل في أورشليم قام رئيس الكهنة والصدوقيون بوضع الرسل في الحبس ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال: "اذهبوا قفوا وكلموا الشعب بجميع كلام هذه الحياة" أع٥:١٩. إن العالم لا يزال يرفض المسيح ويبغضه-حتى البلاد الغريبة التي تدّعى الاعتراف بالديانة المسيحية هكذا تفعل. لكن النعمة تتجه إلى حافظ السجن الذي فاجأته الأحداث الخطيرة, وإذ ظن أن المسجونين هربوا أراد الانتحار, ولكن بولس ناداه بصوت عظيم بألا يضر نفسه, فجميع المسجونين لم يغادروا أماكنهم. إن الزلزلة وفتح الأبواب السجن ليست للهروب ولكنه صوت احتجاج من السماء لما فعله ولاة فيلبي إرضاء للجموع التي أثارت البلبلة بسب استعلان قوة المسيح, ولكنها فضلّت إتباع العرافة والسحر وروح يبثون عن الإنجيل الذي هو قوة اللّه للخلاص.

وجاءت صرخة السجان "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" مصحوبة بارتعاد عظيم وهو مطروح عند قدمي بولس وسيلا. وقبل أن يسمع شيئاً كان قد أخرجهما, وتأتيه البشارة "أمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك". ومحتوى هذه البشارة تطلّب التوضيح بكلمة الرب, ليس له فحسب بل لكل من في بيته أيضاً. وانقضت ساعات الليل الباقية في غسلهما من الجراحات التي أصابتهما من ضرب العصى وشد المقطرة لأرجلهما. ولكن الفرح كان أقوى من الجراح وآلام العظام, وأقوى من كل شعور بالذنب, فالنعمة المخلصة بموت المسيح والتي تمنح الغفران والخلاص الأبدي تمتد للآخرين بالمسامحة ورباط المحبة الأخوية. "ولما أصعدهما إلى بيته قدّم لهما مائدة وتهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن باللّه".

ثم يعلن الولاة مراجعتهم عن القرار الخاطئ الذي اتخذوه ضد أولئك المظلومين بالأمس, فأرسلوا الجلادين ومعهم قرار الإفراج من السجن. لكن بولس لم يقبل هذا الأسلوب اللاأخلاقي في محاولة منهم لإغفال حقهما والتغطية على خطأ اتخذه الولاة خضوعاً لمطالب جماهير ثائرة عمياء, وقال "ضربونا جهراً غير مقضى علينا", أي أن ضربهم العلني لهما ليس بسبب حكم صادر عن قضية واتهام ضدهما. ومما زاد في خطأ القرار قوله "ونحن رجلان رومانيان" لأن المواطن الروماني يحق له الدفاع عن نفسه بحسب القوانين الرومانية الوضعية في ذلك الوقت. "وألقونا في السجن" فلم يكتفي الولاة بالضرب جهراً بل طرحوهما في السجن دون اتهام وقضية. ويطلب بولس التعويض المعنوي, لا برفع الظلم سراً, بل بما يتناسب مع هذا الموقف بأن يأتي الولاة أنفسهم ويردوا اعتبار المظلومين, قال "أفالآن يطردوننا سراً؟ كلا بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجوننا". وعندما بلغ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الولاة هذا الكلام خافوا واختشوا مما فعلوا, خاصة عندما علموا أنهما رومانيان. "فجاءوا وتضرعوا إليهما أخرجوهما وسألوهما أن يخرجا من المدينة".

لم يكن بولس رافضاً لسلطان الحاكم عندما فعل ذلك, بل إنه سعى لتصحيح القرار ليكون متصفاً بالعدالة. وهذه نقطة جديرة بالتأمل والمراجعة في كل مجالات السلطان سواء بالنسبة للحاكم أو للأسرة أو لكنيسة اللّه.

وإذا قيل أن الكنيسة كثيراً ما يصيبها الفشل في اتخاذ قرارات الحكم لعدم كفاية روح النعمة في تطبيق الحق مع تدخل الجسد وأعماله في الحكم الكنسي, نقول يا حبذا لو أن الكنيسة تراجع ما تتخذه من أحكام في نور حضرة اللّه وبحسب كلمته, ومتى أدركت الكنيسة فشلها فلا غبار عليها أن تعترف بذلك وأن تصحح قرارها بكل شجاعة أدبية وتسعى لرد نفوس المطروحين تحت الحكم, لأن هذا هو الغرض الرئيسي من التأديب وهو وقف الشر ورد نفس المخطئ وعلاج الاخوة وربحهم بروح الإتضاع والنعمة, وليس التخلص منهم. وبذلك نُجنب القديسين الكثير من الانقسامات.

وليس صحيحاً القول بأن السلطان لا يتراجع أو يتعذر عن خطئه لئلا يفقد مهابته. ذلك لأن السلطان المفوض من اللّه لا يفترض العصمة فيمن يقومون به, وإن كان يتطلب منهم, خاصة في دائرة البيت والكنيسة المحلية تدريبا كافيا من الحكم على الذات ونضجاً في الممارسة العملية للحياة المسيحية ودراية كافية بطرق النعمة والحق. هكذا طلب بولس من الولاة أن يعتذروا لهما. أنه يحذر من إساءة استخدام السلطان_ قال للآباء "لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا", وللسادة "تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات عنده محاباة", "وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة" أف ٦ :٤و٩, كو٣ :٢١ و٢٥.

"ثم خرجا من السجن ودخلا عند ليديه فأبصرا الاخوة وعزياهم (بالوعظ) ثم خرجا" أع ١٦ :٤٠.

ثم نقرأ أن بولس بعد ذلك عاد إليها في رحلة قصيرة (أع ٢٠ :٦). وقد كتب بولس رسالته هذه لهؤلاء المجتمعين في مدينة فيلبي في ١ : ١،١ تس ٢: ٢.

والحفائر الأثرية التي قامت بها بعثة فرنسية ما بين عام ١٩٣٤- ٣٨ في خرائب هذه المدينة القديمة وجدوا أنها تعود إلى القرن الثاني الميلادي, ولم يجدوا إلا جزءاً منها وتسمى "KAVALA", كما وجد على بعد ميل من المدينة الطريق المؤدي إلى البوابة ثم تعبر نهراً صغيراً وهو المشار إليه في أع ١٦: ١٣ أنه كان مكان صلاة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتميزت كنيسة فيلبي بالسخاء في عطائها ومحبتها للرسول بولس (٢ كو ٨: ١-٦, ١١: ٩ في ٤: ١٦). وقد أرسلت إليه مرتين عطايا له بينما كان في تسالونيكي (في ٤: ١٥ و١٦), كما أرسلت إليه مرة عطية وهو في كورنثس (أع ١٨: ٥, ٢كو ١١: ٨ و٩).

وليس غرض الرسالة تصحيح أخطاء تعليمية أو معالجة تشويش حادث بينهم بل تحريض للاستمرار في الحياة المسيحية. أما الهبة التي أرسلها الإخوة في فيلبي بواسطة أبفرودتس للرسول, جعلت قلبه يفيض بالشكر, ويرسل لهم تلك الرسالة ليعود بها أبفردوس إليهم.
ونستشف من الرسالة أنه كان ينقص البعض منهم إتضاع الفكر فتحولوا إلى المجادلات فيما بينهم إذ ليس لهم الفكر الواحد, وهكذا كان على امرأتين اللتين جاهدتا معه في الإنجيل وهما "أفودية" و"سنتيخى" أن تفتكرا فكراً واحداً في الرب.

محتوى الرسالة:

+ التحية ١: ١ و٢

+ ١- فرح المؤمن في الأحزان ١: ٣- ٣٠

+ ٢- المسيح كالنموذج الكامل للمؤمن ٢: ١- ٣٠

- التحريض للوحدة والإتضاع ٢: ١- ٣

- اتضاع المسيح ٢: ٥-٨

- ارتفاع المسيح ٢: ٩-١١

- إظهار الخلاص عملياً ٢: ١٢-١٦

- بولس كمثال ٢: ١٧-٣٠

+ ٣ – نبع أفراح المؤمن ٣: ١-٢١

- التحذير من الناموسية التي تسلب الفرح ٣: ٧-٢١

- الثقة في المسيح نبع الفرح ٣: ٧-٢١

+ ٤ – المسيح هو فرح المؤمن الذي يمنح النصرة فوق القلق ٤: ١-٣١

- التحريض للوحدة في الفرح ٤: ١-٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

- سلام اللّه هو مفتاح الفرح ٤: ٥-٧

- حضور اللّه للفرح العملي ٤: ٨-٢٢

تاريخ كتابة الرسالة:

من الواضح أنها كُتبت من روما (ص١٣:١, ٤: ٢٢), وربما كان قرب نهاية السنتين اللتين قضاهما الرسول في روما (أع ٢٨: ٣٠و٣١). ويفترض الشراح أن هذه الرسالة هي آخر الرسائل المسماة رسائل السجن, فالثلاثة الأول كتبت عام ٦٠م, أما فيلبي فربما كُتبت في أواخر عام ٦١م.

نصلي أن يبارك الرب هذه التأملات لفائدة القارئ العزيز, وأن يتعلم القديسون الاختبارات المسيحية الصحيحة لا من الوجهة الفردية فحسب, بل لإدراك وحدتهم معاً ككنيسة اللّه الواحدة على الأرض. فهذا هو غرض سكنى روح اللّه في الكنيسة وأيضاً سكناه في المؤمن الفرد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإصحاح الأول: فرح المؤمن في الأحزان

إن دراسة مختلف الرسائل ترينا أن كلا منها ذات غرض خاص قصده اللّه في حكمته وصلاحه لتكون ينبوعاً وموردا للمؤمن ليتأسس في الحق, ولتقوده كذلك في كل الظروف وفي كل عصر.

ففي الرسالة إلى رومية نرى الحقائق التي تُثّبت المؤمن في حقائق الإنجيل العظمى. وفي رسالتي كورنثس نتعلم الترتيب الكنسي, وفي رسالتي أفسس وكولوسي تُستحضر مشورات اللّه والتعاليم المختصة بالمسيح والكنيسة.

أما في رسالة فيلبي فقد نجد القليل من التعليم أو إن شئت فقل لا تعليم ولكن صورة جميلة لاختبار مسيحي حقيقي. إذ يُنظر للمؤمنين لا كجالسين معاً في السمويات في المسيح –كما في أفسس- ولكن كعابرين هنا في هذا العالم, وقد نسوا ما وراء وهم يمتدون نحو المسيح يسوع في المجد. وهذه الرسالة تعطينا اختبار شخص سائر في هذه الرحلة بقوة ومؤازرة روح يسوع المسيح (١: ١٩). ومن المؤسف ملاحظة أنها ليست بالضرورة اختبارات مؤمنين سبقونا إذ نعلم أنه قد نقصر عن الوصول إلى الاختبار المسيحي الحقيقي. ومع ذلك فليس هذا الاختبار قاصراً على الرسول (مثل بولس) إذ من الممكن لأي مؤمن بقوة الروح أن يتمثله. ولهذا السبب فإن الرسول لا يتكلم عن نفسه هنا كرسول ولكنه يكتب رسالته كعبد يسوع المسيح.

ونرى في الرسالة الشركة التي كانت تربط القديسين الفيلبيين بالرسول والتي تبيّنت في ذلك الوقت بالهبة التي قدموها له لمواجهة احتياجاته. هذه الشركة العملية النى أظهروها للرسول وهو في القيود والحبس كانت في الحقيقة برهاناً أمام عينيه لحالتهم الروحية السامية, كذلك وُجد أيضاً الذين تركوه وتحولوا عنه وهو في السجن.

(ع٣- ٦) هذه الحالة الروحية المغبوطة حرّكت الرسول لتقديم الحمد والشكر والصلاة لأجلهم. وربما نكون نحن قادرين أن نشكر اللّه أحدنا لأجل الآخر عندما نتذكر نعمة اللّه المُستعلنة في أوقات بعينها, أما عن هؤلاء القديسين فقد أمكن للرسول أن يقول: "أشكر إلهي عند كل ذكرى إياكم", وفضلاً عن ذلك فإنه قد يصلي أحدنا للآخر في بعض الأوقات, وقد نصلي بحزن القلب بسبب الفشل والسلوك الناقص, أما عن هؤلاء القديسين فإن الرسول كان يقدم "الطلبة لأجلهم بفرح"

هذا بالإضافة إلى أن الحالة الروحية لهؤلاء القديسين أعطت الرسول الثقة العظيمة بأن الذي ابتدأ فيهم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح. ولهذا أظهروا تقواهم بهذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الشركة مع الرسول منذ أول يوم إلى لحظة كتابة الرسالة. ولذلك كان واثقاً بأنهم سيؤازرون بذات النعمة في رحلتهم الداخلية إلى يوم يسوع المسيح.

(ع ٧و٨) وفضلاً عن ذلك فإن الرسول يشعر ببرهان في هذه الثقة إذ أن الرسول كان في قلوبهم (والقراءة الصحيحة "لأني محفوظ في قلوبكم") وقد تبرهن ذلك بالحقيقة أنهم لا يخجلون من ارتباطهم بالرسول في قيوده وفي المحاماة عن الإنجيل. وإذ كانت لهم الشركة معه في تجاربه فإنهم أرادوا الاشتراك أيضاً في تلك النعمة الخاصة لخدمته. ولقد كانت هذه المحبة متبادلة بينهم فمن جهة كان الرسول في قلوبهم, ومن جهة أخرى كان الرسول يشتاق إلى جميعهم في أحشاء يسوع المسيح. إنها ليست ببساطة محبة إنسانية تُعبّر عن نفسها بالعطف ولكنها محبة إلهية – أحشاء محبة يسوع المسيح.

(ع٩-١١) وصلاة الرسول لأجلهم أن تزداد أكثر فأكثر هذه المحبة التي أظهروها بصورة مباركة من نحوه, وأن تظهر نفسها في المعرفة وفي كل فهم. ولذلك علينا أن نتذكر أنه في الأمور الإلهية فإن الإدراك الروحي ينبع من المحبة, فالقلب الذي تعلّق بالمسيح هو الذي يتعلّم فكر المسيح- وهي ليست مجرد معرفة نصوص الكتاب حرفياً ولكنه الذكاء في فهم المعنى الروحي. وبهذا الذكاء الإلهي يمكننا أن نستحسن الأمور الممتازة. ونستطيع بسهولة أن نحكم على الأشياء الخاطئة. وإن كان الإنسان الطبيعي بمقدوره أن يحكم, غير التمييز والحكم في الأمور الأدبية الممتازة يتطلب تمييزاً روحياً. وبقدر ما نزداد في المحبة من نحو المسيح كلما تعاظم الذكاء الروحي الذي يمكننا به أن نفعل الشيء الصحيح بالطريقة الصحيحة في الوقت الصحيح وفي كل الظروف. إن امتحان الأشياء الممتازة والعمل بدافع نقي لا يعطى مجالاً للعثرة, لا لليهود ولا لكنيسة اللّه (١كو ١٠: ٣٢). ولذلك نُحفظ بلا عثرة إلى يوم يسوع المسيح.

وفضلاً عن ذلك فكما كان بالنسبة إلى قديسي فيلبي هكذا لنا نحن أيضاً, فإننا لا نُحفظ فقط من السقوط وبالتالي لا نسمح لحدوث العثرة, بل إننا كذلك نأتي بثمر بيسوع المسيح لمجد اللّه وحمده. ونحن نعلم أنه بالثبات في المسيح يمكننا فقط أن نأتي بالثمر بإظهار الخصائص الجميلة التي ظهرت في المسيح كإنسان, وإذا أتينا بالثمر فإنه يكون لمجد اللّه الآب والشهادة للناس بأننا تلاميذ للمسيح (يو ١٥: ٤-٨).

(ع١٢-١٤)ثم يشير الرسول على الظروف الخاصة التي كان يواجهها والتي كان يُظن أنها تعوق تقدم الإنجيل وبالتالي كانت تحبطه. ومع ذلك فإن الرسول كان ينظر إلى كل ظرف بالارتباط بالمسيح. كان يعيش منفرداً في السجن وكان من الواضح أن كل فرص ملائمة لخدمة الإنجيل قد انتهت وخدمتها العلنية وصلت إلى النهاية. ولكن كان على القديسين أن يعرفوا أن هذه الظروف المعاكسة قد تحولت جميعها لبركته وإلى تقدم الإنجيل. أما بالنظر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى نفسه فلم يعد يحبط بقيوده بل أمكنه أن يفرح إذ قد صار ظاهراً أن وُثقه كانت في المسيح. إنه لم ينطرح تحت ثقل أي فكرة بأنه قد سجن لأي خطأ قد اقترفته ولكنه كان يفرح إذ حُسب مستحقاً أن يتألم لأجل المسيح.

أما من جهة الإنجيل فإن مقاومة العالم للمسيح والإنجيل واضحة من وضع رسول الأمم في السجن مما أعطى الفرصة للبعض من الخائفين طبيعياً بأن يتقدموا بكل شجاعة ويعلنوا بجسارة كلمة اللّه بلا خوف.

(ع١٥-١٨) وللأسف فقد كان هناك البعض ممن يكرزون بدوافع غير نقية, إذ كان يحركهم الحسد ورغبات خبيسة ليضيفوا ضيقات إلى الرسول, كما اتخذوا نم سجن الرسول فرصة سخية لكي يسعوا إلى تمجيد ذواتهم بالكرازة بالإنجيل. وإذ كان الرسول واضعاً المسيح أمام عينيه ولا يفكر في نفسه أمكنه أن يفرح بأن المسيح يكرز به. إن الدوافع غير النقية والأساليب الخاطئة والطرق الجسدية التي يستخدمها الكارز في خدمته, كان على الرسول أن يتركها للرب لكي يتعامل في الوقت المعين وبالطريقة التي يراها. ولكنه يفرح إذ كان يُكرز بالمسيح.

(ع١٩) وأمكن للرسول أن يفرح إذ علم أن الكرازة بالمسيح سواء بنفسه أو بالاخوة الحقيقيين أو بأولئك الذين يكرزون بدوافع غير نقية, هذا كله مع صلوات القديسين ومؤازرة روح يسوع المسيح سيؤول جميعه على خلاصه النهائي والكامل من كل قوى الشيطان. ولنتذكر أنه كيفما عظم احتياجاتنا فإنه مع الروح القدس لنا غنى وفير وموارد لا تفنى لمواجهة هذا الاحتياج. فإذا كنا نعتمد على هذا المصدر فسنجد أن ثورة الناس وحسد أولئك الذين يكرزون بدوافع خاطئة ومقاومة المقاومين وعداوة إبليس كل هذا لا قوة له علينا.

(ع٢٠) ويرينا الرسول صفة هذا الخلاص الذي أمامه. ومن الواضح أنه لم يرد على ذهنه هنا موضوع خلاص نفسه الذي يعتمد تماماً على عمل المسيح- الذي هو مستقر تماماً بالنسبة له, والذي لا يعتمد على أي شيء يفعله ولا على صلوات القديسين ولا حتى على مؤازرة الروح القدس الحاضرة. وفضلاً عن ذلك فإن بولس لم يفكر في خلاصه من السجن, أو إنقاذه من الظروف المعاكسة. بل إن الخلاص الذي كان أمامه هو العتق الكامل من كل شيء سواء في الحياة أو في الموت, كل ما يعوق أن يتعظم المسيح في جسده. إن المسيح كان يملأ قلب الرسول وكان انتظاره ورجاؤه أن يُحفظ من أي شيء يجعله يخجل من الاعتراف بالمسيح, وبكل مجاهرة فإنه يشهد للمسيح. وسواء بحياة أم بموت فإنه يُعظم المسيح.

(ع٢١) وهذا قاد الرسول أن يقرر أن المسيح هو الغرض الوحيد الذي أمامه, وهو المصدر والدافع لكل ما فعل حتى أنه قال "لي الحياة هي المسيح والموت ربح". وفي هذا العدد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتلخص كل سيرنا هذا العالم بكلمات متضادة "الحياة والموت". وبالنسبة إلى بولس فقد كان شيئاً مباركاً جداً أن نرى الحياة والموت يرتبطان بالمسيح. فإن عاش فللمسيح وإن مات فمعناه أنه يكون مع المسيح. والمسيح غرضه الوحيد في حياته, الذي يؤازره خلال كل الظروف المتغيرة هنا, وليس فقط ينزع الموت بكل رعبه بل أيضاً يجعل الموت أفضل كثيراً من الحياة في عالم غائب عنه المسيح.

هذا هو الاختبار المسيحي الذي باستطاعته جميع المؤمنين أن يختبروه. ولكن للأسف فإننا نعترف بأن إدراكنا للحياة التي عاشها الرسول قاصرة جداً. فكيف أمكن لأملئك الذين عاشوا في زمان الرسول وكانوا يكرزون بالمسيح عن حسد وخصام (١: ١٥) والذين كانوا يطلبون ما هو لأنفسهم (٢: ١٢), أو الذين يفتكرون في الأرضيات (٣: ١٩), كيف لم يعرفوا شيئاً عن هذا الاختبار المسيحي الحقيقي؟ ليتنا نتحدى قلوبنا لنعرف إلى أي مدى نحن نكتفي بالتذوق القليل للبركة كأناس يعيشون فقط لأجل المسيح. أما بالنسبة لبولس فقد كان هو الاختبار الدائم لنفسه. إنه لم يكن فقط المسيح حياته ولكنه قال – لي الحياة هي المسيح. إنه الشيء الواحد أن نمتلك المسيح كحياتنا – وهذا ما يستطيع كل مؤمن أن يقوله- ولكنه شيء آخر أن نحيا الحياة التي نمتلكها لا مجرد امتلاكها فقط. فهل المسيح هو الغرض الوحيد أمامنا الذي يشغلنا يوماً فيوماً, لكل ما نفكر وكل ما نقول ونفعل؟

(ع٢٢-٢٦) ويتحدث الرسول عن اختباره الشخصي ولذلك يقول المرة تلو الأخرى "أنا". وإذ أمكنه أن يقول "لي الحياة هي المسيح", أمكنه أن يضيف أيضاً "ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي". إن الحياة في الجسد تصبح ثمراً عظيماً لو أن المسيح هو الغرض الوحيد في هذه الحياة. ومع ذلك فإن فرحه الشخصي هذا ما يفضله جداً أن ينطلق ويكون مع المسيح. ولكن التفكير في المسيح ومسراته وبركة شعبه يشعر بالحاجة أن يستمر مع القديسين على الأرض. وبهذه الثقة عرف أنه سيُترك هنا لبركة وفرح القديسين مما سيقودهم للفرح بالرب أكثر إذ سيُسمح له بزيارتهم مرة أخرى.

(ع٢٧-٣٠) وفي نفس الوقت كانت رغبته من جهتهم أن يتفق سلوكهم وإنجيل المسيح. يا لها من كلمة فاحصة لجميعنا, لأن الجسد فينا ومع وجود نعمة اللّه, فإن الجسد يقودنا إلى السلوك ليس إلى ما دون الحياة المسيحية فحسب بل إلى ما هو أقل كثيراً من مستوى إنسان عالمي مهذب وهذه حالة البعض ممن يكرزون بالمسيح عن حسد وخصام. فإذا سلك القديسون هناك كما يحق لإنجيل المسيح, وهذه هي رغبة الرسول عندئذ يمكنهم أن يثبتوا ضد كل مقاومة. وعليهم أن يثبتوا كقديسين بروح واحد وبنفس واحدة يجاهدون معاً لإيمان الإنجيل. إن السعي الرهيب لإبليس أن يسلب هذا الحق من القديسين. والثبات في الجهاد معاً لإيمان الإنجيل يستلزم الألم ولكن ليتنا لا نخشى التفكير في الألم إذا كنا قد دُعينا إليه فنظن أنه يقضى على رجائنا بالكلية, ففي الحقيقة لو تألمنا لأجل المسيح فإن هذا سيؤول

 All rights reserved © 2008-2018

إلى خلاص من كل شراك العدو والتي يريد أن يحولنا بها عن إيمان الإنجيل. ليتنا نرى الآلام لأجل المسيح أنها كرامة معطاة لمن يؤمنون به. وفي هذه المعركة والآلام كان الرسول نموذجاً كما رأوه عندما كان في فيلبي معهم, والذي قد سمعوه عنه أيضاً. كان صموئيل رذرفورد عندما سُجن مثل بولس لأجل المسيح, اعتبر ذلك امتيازاً وأمكنه أن يقول "إن صليب المسيح أفضل كثيراً من تاج الملك. والألم لأجل المسيح هو إكليل افتخاري".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإصحاح الثاني: المسيح كالنموذج الكامل للمؤمن

في ختام الإصحاح الأول علينا أن نتذكر أنه ليس علينا أن نؤمن بالمسيح فحسب بل أيضاً أن "نتألم لأجل اسمه". فإذا كان المسيح قد واجه الخصم في طريق سيره في هذا العالم، فلنتحقق بأنه كلما كان المؤمنون أكثر إظهاراً للمسيح كلما تعاظمت مواجهة الخصم. فعلينا أن نعد للصراع مثل القديسين في فيلبي الذين تميزوا بالكثير من فضائل المسيح ونعمته وقد وجدوا أنفسهم لهذا السبب في مواجهة الخصوم.

ومن الإصحاح الثاني نتعلم أن العدو كان يسعى لإفساد شهادتهم للمسيح ليس فقط بجعلهم يواجهون الخصوم الذين من الخارج ولكن أيضاً بإثارة الخصام داخل الدائرة المسيحية. وفي العددين الأولين يستحضر الرسول أمامنا أولا هذا الخطر الرهيب، وثانياً نتعلم من العددين ٣ و٤ بأن الوحدة بين شعب الرب يمكن أن تَحفظ بأن يكون لكل واحد الفكر المتواضع. وثالثاً لكي يكون لنا هذا الفكر المتواضع فلتكن أعيننا موجهة للمسيح كالمثال لنعمة المسيح كما يتضح من العدد ٥-١١. ورابعاً فالنتيجة المباركة لأولئك الذين يعيشون بحسب نموذج تواضع المسيح أنهم يصيرون شهادة للمسيح كما يوصف في أعداد من ١٢-١٦. وفي نهاية يختم الإصحاح بأن يستحضر أمامنا ثلاثة أمثلة من القديسين الذين تميزت حياتهم بالتواضع وإنكار الذات عند التعامل مع الآخرين ع١٧-٣٠.

(ع١-٢): ويُقِر الرسول بسرور أنه من خلال ما أظهره القديسون من تقوى ورحمة من نحوه في كل تجاربه فقد تذوق التعزية التي للمسيح وأيضاً لخاصته. لقد تشجع بمحبتهم والشركة التي انسابت من الروح لتربط قلوبهم بالمسيح ومسراته. إنه تحقق يقينا بعواطف المسيح التي ظهرت في القديسين عندما كان يعاني من التجارب والضيقات (ص٤: ١٤). وكل هذه البراهين التي كانت تظهر تقواهم أعطته أني يفرح فرحا عظيما. إنه يرى على كل حال أن العدو يسعى أن يفسد وحدة شهادتهم للمسيح وذلك بإثارة المنازعات في وسطهم ولهذا يقول لهم "تمموا فرحي حتى تفتكروا فكراً واحدا ولكم محبة واحدة بنفس واحدة". وبشعور رقيق جداً يشير الرسول إلى نقص وحدانيتهم مما يكشف خطورة الأمر إذ لنا أربعة إشارات في بيان رسالته فهو يُحرض هؤلاء القديسين أنهم "يثبتون في روح واحد بنفس واحدة" (١: ٢٧). وهنا يُحرضهم أن يكونوا بفكر واحد. وفي الإصحاح الثلث أمكنه أن يقول "ونفتكر ذلك عينه" (٣: ١٦). وفي الإصحاح الرابع نرى التحريض لأختين أن تفتكرا فكرا واحدا في الرب" (٤: ٢).

(ع٣ و٤): ولاعتبارات رقيقة إزاء مشاعرهم التي اتسمت بالضعف فإن العلاج هو في أن يُظهر كل واحد روح التواضع. ولذلك يحذرنا أن نفعل شيئاً بروح النزاع أو العجب وهذان هما السببان الرئيسيان لفشل الوحدة بين شعب الرب. وليس معنى هذا أننا لا نبالي بالأخطاء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التي تقوم بين شعب اللّه ولكننا نَحذّر من مواجهتها بروح غير مسيحية. ويا للأسف فغالبا ما تصبح المصاعب والمشاكل فرصة لإظهار أخطاء غير محكوم عليها إذ لم نأت بها إلى النور مثل الحسد والخبث والعُجب الكامنة في القلب. هذه التي تقود إلى النزاع والتي يقاوم بها أحدنا الآخر فنستخف بها بعضنا البعض، وكذلك العُجب الذي يسعى إلى تمجيد الذات. فكم نحتاج أن نحكم على قلوبنا. كما جاءت ملاحظة لواحد فقال "إن المسألة ليست في واحد منا بل في تركيز الاهتمام بالذات".

وللهروب من هذا الخطر كم نحتاج إلى التحريض "بتواضع (الفكر) حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم". ونستطيع أن نتمم هذا التحريض إذا تجاهلنا أنفسنا وخصالنا الحسنة لنتطلع إلى ما في الآخرين. وهذا النص لا يتكلم عن مواهب بل عن خصال أدبية تميز كل القديسين. وفضلاً عن ذلك فإنها تفترض قديسين يعيشون في حالة أدبية صحيحة. فإذا استمر أخ في طريق الشر فليس لي التحريض بان أحسبه أفضل كثيرا من نفسي إذا كنت سالكا في وضع صحيح. ولكن بين القديسين الذين يعيشون في الوضع الصحيح أي الحياة المسيحية المعتادة فإنه من السهل لكل نما أن يقدر الآخرين أكثر من نفسه إذا كنا في قرب من الرب، لنه في حضرته نكتشف شرور الجسد الخفية مهما كانت حياتنا في الخارج صحيحة أمام إخوتنا ونرى الكثير من عيوبنا وفشلنا، وكم نحن فقراء أمامه عندما نقارن أنفسنا مع شخصه المبارك. وعندما نتطلع إلى إخوتنا فإننا لا نرى بعد عيوبهم الخفية بل بالحري خصالهم الحسنة التي صارت لهم بفضل نعمة المسيح. وهذا بالتأكيد يحفظنا في التواضع ويجعل كل منا يُقدر الآخر أكثر من نفسه، وعلينا أن نتحرر من روح العُجب التي تقودنا إلى النزاع والتي تكسر وحدة القديسين. ومن الواضح أن الوحدة الحقيقية بين شعب الرب لا تحقق بالمساومة على الحق بل بأن يكون كل واحد منا في حالة أدبية صحيحة أمام الرب وبفكر متواضع.

(ع٥-٨): ولإيجاد هذا التواضع فإن الرسول يوجه نظرنا نحو المسيح كما يقول "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً". إنه يعطينا صورة جميلة للتواضع الذي في المسيح أيضاً إذ اتخذ طريقه من مجد اللاهوت إلى عار الصليب. ولهذا نرى المسيح أمامنا في كل نعمة تواضعه كمثالنا الكامل. فإذا كان القطيع يتبع الراعي، فإن عيون الخراف تتجه نحوه، وبهذا فقط عندما تثبت عين كل منا عليه يمكن أن يحتفظ القطيع بوحدته. وكلما اقتربنا أكثر للمسيح كلما اقتربنا من بعضنا البعض.

إننا في المسيح نرى السجايا الحلوة التي ظهرت فيه، في كماله الأدبي ظهر تواضعه عندما استعبد كل فكر ذاتي متخذاً طريق العبد طائعاً حتى الموت. وفي إتباع هذا الطريق فإن الرسول لا يرينا فقط كل خطوة قد نزلها ولكن يرينا أيضاً الفكر المتواضع الذي اتخذه المسيح في هذا الطريق- وليس في الإمكان أن نتبع كل خطواته لأننا لم نكن قبلا في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأعالي التي نزل منها ولم يُطلب منا أن ننزل كذلك إلى الأعماق التي ذهب إليها، بل إننا نُحرض بأن يكون لدينا فكره في تلك الخطوات التي اتخذها.

إن نظرنا يتجه أولاً للمسيح في أقصى عُلّو له إذ كان "في صورة اللّه"، فقد كان فكره أنه "لم يحسب خلسة". إنه لم يعبأ بنفسه ولأجل تتميم إرادة الآب وضمان بركة شعبه فقد أُعد اتخاذ مكان التذلل والإتضاع واستطاع أن يقول من جهة مجيئة إلى العالم "هأنذا أجئ.. لأفعل مشيئتك يا اللّه" (عب ١٠: ٧).

وثانياً: فإنه بهذا الفكر اتخذ الرب صورة العبد. وعندما كان على الأرض أمكنه أن يقول لتلاميذه "أنا بينكم كالذي يخدم" (لو٢٢: ٢٧). قال واحد "إن المسيح لم يأخذ صورة العبد فحسب ولكنه لن يتخلى عنها.. في يوحنا ١٣ عندما كان ربنا المبارك ذاهبا إلى المجد فقد نقول أن الخدمة اقتربت من نهايتها ولكن الأمر ليس هكذا، إنه ينهض حيث كان جالساً بينهم كرفيق، ويقوم ويغسل أرجلهم وهذا ما يفعله الآن.. وفي لوقا ١٢ نتعلم أنه يستمر في خدمته في المجد"إنه يتمنطق ويتكئهم ويقوم فيخدمهم".. إنه لن يتخلى عن خدمته. إن الأنانية تجعلنا نحب أن نُخدم أما المحبة فتحب أن تخدم، هكذا المسيح لم يتخل عن الخدمة لأنه لم عن المحبة" (يوحنا داربي).

وثالثا: فإن الرب لم يأخذ فحسب "صورة العبد" وإنما "صائراً في شبه الناس" فقد كان بإمكانه أن يصير عبداً متخذاً هيئة الملائكة- إذ هم مرسلون للخدمة، ولكنه صار أقل من الملائكة "إذ وُجد في الهيئة كإنسان".

ورابعا: إذ كان الرب في صورة الناس فإنه رفض أن يستخدم هذا الوضع ليُعظم نفسه بين الناس. وفكره المتواضع قاده أن يتضع- إذ وُلد في إسطبل وأُضجع في مزود وعاش بين المُذلين في هذا العالم.

وخامسا: وإذا كان قد وضع نفسه لكي يسير مع المُذلين فمن حقه أن يأخذ مكان الحكم في العالم- وهو المكان الذي له بحسب سلطانه، ولكنه كان يتحرك بفكر الاتضاع فصار طائعاً وعند مجيئه إلى العالم قال: "إني أفعل كل حين ما يرضيه". وعند خروجه من العالم قال: لتكن لا إرادتي بل إرادتك.

سادسا: وبفكر الاتضاع هذا كان الرب لم يُطع فحسب ولكنه أطاع حتى الموت.

سابعا: وبفكر الاتضاع هذا لم يواجه الموت فحسب ولكنه خضع لأكثر صورة مشينة للموت يمكن أن يتعرض لها إنسان حتى الموت موت الصليب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وإذ نتتبع هذا الطريق العجيب في نزوله المتوالي من أعلى نقطة في المجد إلى صليب العار، ليتنا لا نقنع فقط بهذا الجمال الأدبي الذي يمكنه أن يُبهر حتى الإنسان الطبيعي ولكننا نحتاج نعمة لا لكي نتعجب فحسب بل أن تترك فينا التأثير العملي في حياتنا بحسب التحريضات التي يدفعنا لها الرسول "ليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً". ففي نور هذا التواضع الذي نراه في يسوع نستطيع أن نتحدى قلوبنا لنعرف كم تباعدنا وصار فينا المجد الباطل الذي يتفق وطبيعتنا، ونسعى بالاتضاع إلى نسيان ذواتنا لنخدم الآخرين بالمحبة ونُظهر شيئاً من نعمة التواضع التي للمسيح

نحن نتعجب في فكر تواضعك
وبسرور نرغب أن نكون مثلك
وكل راحتنا وسرورنا فيك
عندما يا رب نتعلمك

(ع٩-١١): فإذا كانت قلوبنا قد انجذبت للمسيح إذ نراه نعمة تواضعه ونزوله الشديد من المجد إلى الصليب، فإننا نراه أيضاً في أكثر النماذج كمالاً في الحق "كل من يضع نفسه يرتفع"(لوقا ١٤: ١٤). نعم "أخلى نفسه" ولكن اللّه "رفعه أيضاً" (أي مجّده حالياً). فإذا كان فكر الاتضاع ذهب به إلى أن يأخذ المكان الأدنى من الجميع فإن اللّه أعطاه "اسماً فوق كل اسم" ومكاناً ممجداً فوق الجميع. وفي الكتاب نجد أن "الاسم" يرينا شهرة الشخص. وهناك كثيرون صاروا مشهورين في تاريخ العالم وحتى بين قديسي اللّه، أما شهرة المسيح كإنسان فقد فاقت الجميع. وعلى جبل التجلي فإن التلاميذ في جهلهم أرادوا وضع موسى وإيليا في مستوى يسوع. ولكن هؤلاء رجال اللّه العظام اختفوا من المشهد وبقي "يسوع وحده" وصوت الرب سُمع قائلاً "هذا هو ابني الحبيب".

إن اسم يسوع يُعبر عن شهرة هذا الإنسان المتضع، وهو يعني كما نعرف المُخلص ومثل هذا هو الاسم الذي فوق كل اسم. أفلا نقول إنه الاسم الوحيد الذي اتخذه الرب لكي يُعبر عن نزوله من المجد إلى صليب العار- لكي يعطى الخلاص والأمان؟ وعلى الصليب كُتب "يسوع" والناس في استهزائهم قالوا "لينزل من على الصليب". ولكن هل فعل ذلك؟

وهذا معناه إنه كان عليه أن يتخلى عن اسم "يسوع". إنه لو يزل هو الخالق واللّه القدير ولكنه هل يتخلى عن اسم "يسوع" المُخلص؟ مبارك اسمه فاتضاعه قاده للطاعة حتى موت الصليب ونتيجة ذلك أن كل ركبة ستجثو لاسم يسوع وكل لسان سيعترف بأن يسوع المسيح رب لمجد اللّه الآب.

(ع١٢-١٣): كان الروح يقودنا لكي نحدق النظر في المسيح في كل نعمة اتضاعه. ويأتي التحريض لنا بطاعة تحريضات الرسول بأن نحكم على كل ميول الجسد فينا للمخاصمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والنزاع والمجد الباطل وأن نسعى للسير بروح التواضع الذي في المسيح مثالنا الكامل. ولهذا فعلينا أن نقاوم جهود العدو لزرع الخصومات بين القديسين وعندما كان الرسول حاضرا بين المؤمنين هناك فإنه كان يحفظهم من هجوم العدو وأما الآن فبالأكثر في غيابه يحتاجون للحذر ضد الخصوم خارج الدائرة المسيحية والصراعات الداخلية. والسلوك بروح المسيح المتضع يجعلهم حقاً يتممون خلاصهم من كل محاولات العدو لكسر وحدتهم وإفساد شهادتهم للمسيح، بل يتممون خلاصهم من العدو "بخوف ورعدة". وعندما نتحقق من إغراء العالم المحيط بنا وضعف الجسد فينا وقوة الشرير المضادة فإننا حقا نخاف ونرتعب. ولكن أليس الخوف والرعبة ترتبطان أيضاً بما يتبع ذلك؟ لهذا يضيف الرسول على الفور "لأن اللّه هو العامل فيكم". وبينما لا ننسى نحن القوة الجبارة المضادة لما فلنخف لئلا نستخف ونهمل قوة اللّه العظمى التي لنا والتي تعمل فينا, "أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة". إن اللّه لا يقودنا فحسب لكي نعمل بل أيضاً لكي نريد بحسب مسرته. وهذه حقاً هي الحرية. وبعيداً عن الإرادة يصبح العمل مجرد عبودية للقانون. ونحن بحسب الطبيعة نحب تتميم مسرته ولهذا فإن فكر المسيح المتضع مثالنا الذي أمكنه أن يقول "أفعل مشيئتك يا إلهي سررت" (مز٤٠: ٨).

(ع١٤-١٦)" وعندما تكون أعيننا على المسيح، وبقدر ما يكون لنا فكر اتضاعه، عندئذ سوف لا نخلص من إغراءات العالم وقوة العدو فحسب بل ستصبح بالتأكيد لمسرة اللّه والتي نجدها بكل وضوح في حياة المسيح، الذي أمكنه أن يقول "إني أفعل كل حين ما يرضيه" (يو٨: ٢٩). ولذلك فإن التحريضات التالية تستحضر لنا صورة جميلة للمسيح.

قيل لنا "افعلوا كل شيء بلا دمدمة (أو تذمر) ولا مجادلة". لقد تأوه الرب حقاً على أحزان الناس ولكن لم تُصدر شفتاه دمدمة أو تذمر مطلقاً. وصحيح ما قيل "يسمح اللّه بالأنين ولا يقبل التذمر". ومرة فعلينا أن نحذر "المجادلات" التي تجعلنا غير راضين على طريق اللّه معنا وكيفما كان الطريق صعباً أمام الرب ولكن لم يطرأ على ذهنه أي مجادلة تجاه طرق اللّه معه ولم تخرج من شفتيه كلمة تذمر. وعلى عكس ذلك عندما فشلت خدمة النعمة التي قدمها لكي تلمس قلوب الناس بل اتهموه بأنه يعمل هذه الأعمال بقوة إبليس, أمكنه أن يقول "نعم أيها الآب لأن هكذا قد صارت المسرة أمامك" (متى١١-٢٦). إنه حسن لنا عندما نواجه أي إهانة أو تجربة أن نتبع خطواته، ونخضع بلا مجادلة لما يسمح به اللّه بذات روح الاتضاع التي للرب. فإذا سلكنا في هذه الروح فسنصبح بلا لوم أمام اللّه وبلا عيب أمام الناس. إنه يُعبر مرة أخرى شيئاً عن كمال المسيح، إذ كان "بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة" (عب٧: ٢٦). وفي إتباع خطواته نصبح "أولاد اللّه بلا عيب". واستطاع الرب أن يقول "من أجلك احتملت العار" (مز ٦٩: ٧) ولكن لا نجد أي تعبير ضده بسبب طريق شرير سار فيه ، بل على العكس قال الناس عنه "إنه عمل كل شيء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حسناً" (مر٧: ٣٧). ونحن أيضاً صار لنا الامتياز أن نحمل التعيير لأجل اسمه ولكن لنحذر من أي شيء في طرقنا وفي كلماتنا بما لا يليق كأولاد للّه مما يستدعي التعيير. إنه بالسلوك الحسن الذي لا يمكن أن يقاوم نظهر أننا أولاد اللّه في وسط جيل معوج وملتو ليست لديهم علاقة باللّه. وأمكن لموسى في يومه أن يقول: "إله أمانة (حق) لا جور فيه. صدّيق وعادل هو"، ثم يضيف للتو إذ يجد نفسه في وسط أناس قد افسدوا أنفس٨هم وهم ليسوا أولاده "جيل أعوج وملتو" (تث ٣٢: ٤ و٥). وبدلاً من نور المسيحية فالعالم لم يتغير. إنه لم يزل عالم رجاله "الفرحين بفعل السوء والمبتهجين بأكاذيب الشر، الذين طرقهم معوجة وهم ملتوون في سبلهم" (أم٢: ١٥). وقد تركنا في عالم كهذا لنضئ بينهم "كأنوار في العالم" ولنوجد "متمسكين بكلمة الحياة". ومرة أخرى نتبع طريق الرب الذي كان هو "نور العالم" والذي قال "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة". والنور يستحضر لنا الشخص أكثر من الكلام. والتمسك بكلمة الحياة تتحدث عن شهادة ترتبط بإعلان الحق المختص بكلمة اللّه. إن حياتنا تعكس شيئاً من كمال المسيح وكلماتنا تتكلم عن طريق الحياة.

فإذا كانت نتيجة خدمة الرسول أن القديسين يصير لهم فكر المسيح المتواضع وبذلك يكونون شاهدين للمسيح فإنه سيفرح حقاً بهم ويقول "إني لم أسع باطلاً ولا تعبت باطلاً". وهنا يميز الرسول بين "الحياة" و"الشهادة". أفليس سعيه يتحدث عن أسلوب حياته وتعبه يتحدث عن خدمته؟.

وفي التحريضات السبعة للرسول أفلا نرى صورة حلوة لحياة معاشة بحسب النموذج الكامل المرسوم في المسيح؟ حياة ليس فيها تذمر على نصيبنا، ولا مجادلة على ما يسمح اللّه به من تجربة في طريقنا، ولا لوم على أي شيء نقوله أو نفعله، ولا إساءة للآخرين على كلماتهم أو مسلكهم، ولا شيء في حياتنا يستدعي التوبيخ بما لا يتفق مع كوننا أولاداً للّه، لنضئ كأنوار في عالم مظلم، ومتمسكين بكلمة الحياة في عالم الموت. وهكذا يجب أن نعيش لمسرة اللّه ومجد المسيح ومعونة القديسين وبركة العالم لتكون لنا المكافأة في يوم يسوع المسيح. فلو كان كل القديسين عيونهم مثبتة على المسيح ويعيشون هذه الحياة الجميلة فلن يكون صراع في دائرة المسيحية، وسنصبح رعية واحدة تتبع راع واحد.

(ع١٧ و١٨): وفي الأعداد الباقية من الإصحاح تعبر أمامنا ثلاثة أمثلة في حياة المؤمنين الواقعية التي تُظهر بقياس كبير تواضع المسيح الذي ينسى الذات في خدمة الآخرين ويُظهر كأنوار في العالم ويتمسك بكلمة الحياة.

أولاً في الرسول نفسه وبالتأكيد فإن روح اللّه يريدنا أن نرى واحداً قد عاش بحسب نموذج المسيح. إن إيمان القديسين الفيلبيين في تسديد حاجاته صارت كذبيحة في خدمته. ولكن لو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنه يتألم لأجل المسيح. ولهذا السبب يدعو هؤلاء القديسين أن يفرحوا. ولذلك يُظهر التواضع في مراعاة الآخرين ونسيان وإتباع المسيح حتى الموت.

(ع١٩-٢٤): وينتقل الرسول للحديث عن تيموثاوس، وهو نظير نفسه، وقد تميز بفكر الاتضاع الذي ينسى الذات للتفكير في خير الآخرين. يا للأسف! فقد صارت الحالة العامة للكنيسة في البداية حتى في أيام الرسول التي تدانت في سقوطها وتباعدت عن هذه الصفة المحببة التي تنكر الذات، فقال "لأن الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح". وقد وجد الرسول في تيموثاوس واحداً يعتني بالآخرين ويخدم معه متمسكاً بكلمة الحياة في الإنجيل. وإذ نرى تيموثاوس متميزاً بفكر الاتضاع الذي للمسيح فإن بولس استخدمه في العناية بالقديسين وآملاً أن يرسله إلى كنيسة فيلبي حالما يجد نهاية لتجربته؟

(ع٢٥-٣٠): وفي النهاية نجد في أبفرودتس مثالاً مؤثراً لمن له فكر المسيح المتضع الذي ينسى ذاته راغباً في خير الآخرين. فهو ليس فقط أخاً في المسيح ولكنه أيضاً رفيق في عمل الرب، وجندي عامل للدفاع عن الحق ورسول القديسين وخادم لتسديد احتياجات الرسل. لقد كان في محبته المضحية مشتاقاً إلى القديسين ومثقلاً جداً ومغموماً لئلا يسبب لهم الحزن بسبب مرضه. والحقيقة أنه قارب الموت ولكن اللّه في رحمته خلصه. أما بولس فلم يفكر في نفسه وكيف أنه سيفتقد رفيقاً له تقديره ويرسله هذا الخادم المحبوب إلى الفيلبين لفرحهم. وإن شخصاً كهذا عليهم أن يقبلوه في الرب بكل فرح وتكريم. ويضيف الرسول كلمة مباركة جداً ترينا نوع التكريم الذي له التقدير في نظر اللّه. لقد تميز أبفرودتس بالأمانة في عمل المسيح وبفكر الاتضاع على مثال المسيح، إذ واجه الموت في خدمته لأجل الآخرين.

ونلاحظ في الأيام كيف أن الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم، ولم يعد للقديسين ذات الفكر مع الرسول، عندئذ لن يصعب اندهاشنا أنه في الأيام الأخيرة نجد الانقسام والتشتت بين شعب اللّه. كما رذرفورد في يومه "هناك شك في أن يكون لنا قلب واحد حتى يتحقق لنا سماء واحدة". وعلى الرغم من هذا فإننا نتشجع بهذه النماذج المشرقة للقديسين من لهم سمة الفكر المتضع. وكم هو حسن أن نتطلع بعيداً عن كل خراب محيط بنا إلى المسيح مثالنا مجتهدين أن نسير بحسب فكره، وبهذا نصبح بقياس محدود وضئيل شهادة للمسيح. ونسير في هذا العالم بحسب مسرة اللّه وصلاحه

أيها الصابر الذي بلا عيب
قلوبنا تتدرب في وداعتك
لنحمل نيرك ونتعلم منك
فنستريح فيك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإصحاح الثالث: نبع أفراح المؤمن

رأينا في الإصحاح الثاني أنه يستحضر أمامنا نعمة الحياة المسيحية التي تنسى الذات لأجل الآخرين, وتسير بحسب مثالنا الكامل وهو المسيح في تواضعه. وفي الإصحاح الثالث هنا نرى قوة الحياة المسيحية التي تغلب المخاطر التي تهاجمنا، إنها تنسى ما وراء، وتدفعنا إلى المسيح غرضنا في المجد.

إننا نحتاج إلى كل من النعمة والقوة كما أشار واحد بقوله"إذا توفرت النعمة في حلاوة الصفات فالحاجة إلى القوة الروحية لإظهارها، أما إذا توفرت القوة فتصبح الحاجة إلى قدر من المرونة بالنظر إلى اعتبارات الآخرين".

وفي سياق هذا الإصحاح نجد التحذير من مخاطر محددة يسعى العدو لكي يمنع المؤمنين من أن يضيئوا كأنوار في العالم وأن لا يتمسكوا بكلمة الحياة و بذلك يفسدون شهادتنا للمسيح ونحن نعبر عالم ظلمة أدبية تحت ظل الموت.

وفي عددي ٢و٣ نحذر من أعمال الشر التي يعملها هؤلاء الذين أفسدوا المسيحية بتعليم التهود. ومن أعداد ٤-١٦ نحذّر ضد الثقة في الديانة الجسدية . وفي أعداد ١٧-٢١ نحذّر ضد أعداء صليب المسيح وهم داخل دائرة الاعتراف المسيحي ولهذا نحتاج إلى القوة التي تغلب هذه المخاطر إذ يضع المسيح في المجد لنا كمصدر لا يفشل.

(ع١) وقبل التحدث عن المخاطر الخاصة التي تواجهنا فإن بولس يضع الرب أمامنا كالشخص الذي نفرح به. كان الرسول في السجن لمدة أربع سنوات و كان على وشك أن يجرَب في حياته. ولكن كيفما كانت ظروفه وكيفما عظم الفشل بين شعب اللّه، وكيفما كان تحذيرنا من المخاطر، فإن تحريضه النهائي "افرحوا في الرب". فالرب في المجد هو الشهادة الأبدية لشبع اللّه الأبدي بعمله على الصليب، وهو الذي فيه كل البركة صارت مضمونة للمؤمنين ومستقرة أيضاً. فإذا كان هو في المجد فإننا سنكون في المجد بالرغم من كل ما نتعرض له في الطريق سواء من ظروف التجارب أو فشل القديسين أو قوة العدو. ولهذا قيل "افرحوا في الرب".

(ع٢-٣) ولأنه يوجه أنظارنا نحو يسوع المسيح كالرب الذي ستجثو له كل ركبة ، فإن الرسول يحذرنا من مخاطر خاصة تواجهنا، فيقول: " احذروا الكلاب، احذروا فعلة الشر، احذروا القطع". ويبدوا أن عناصر الشر الثلاثة هؤلاء تشير إلى معلمي التهود داخل الدائرة المسيحية الذين يسعون لخلط الناموس بالنعمة. وهذا يعني استبعاد الإنجيل الذي تعلنه النعمة وإعادة الجسد الذي استبعده الإنجيل. ونحن متيقنين من أن هذا الشر يقاوم كل أساس للبركة ولذلك فإن بولس كان شديداً في حكمه. والكلب هو الذي يعود إلى قيئه بلا خجل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفضلاً عن ذلك فهؤلاء المعلمون يعظمون أعمال شرهم بقناع ديني. وحذّر الرب تلاميذه من مثل هؤلاء عندما قال: " ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا". فربما يعترفون بأنهم الختان الذين يرفضون الجسد، ولكنهم في الحقيقة يسعون لخلط الناموس بالنعمة، وهم منغمسون في ديانة الجسد أكثر من قطع الجسد. لهؤلاء يتعرض الرسول لهم بكلمات الازدراء.

وبالمباينة مع نظام المعلمين المتهودين فإن بولس يضع أمامنا الصفات البارزة للمسيحية. ففي المسيحية نجد الذين يرفضون الجسد وهم يكوَنون الختان الروحي الحقيقي " نعبد اللَه بالروح" وليس بالطقوس الدينية. يفتخرون في المسيح يسوع وليس بالناس أو بأعمالهم. ليست لديهم ثقة في الجسد ولكنهم يضعون ثقتهم في الرب.

هناك بالطبع شهوات الجسد التي يجب أن نحكم عليها ولكن الرسول هنا يحذرنا من ديانة الجسد إنها فخ أكثر خطورة للمسيحيين لأن ديانة الجسد لها مظهر براق للإنسان الطبيعي. وقال واحد " للجسد ديانة وله أيضاً شهوات. ولكن ديانة الجسد لا تقوم على قتل الجسد".

وكلمات الرسول لها بالتأكيد تحذيرها لنا في هذه الأيام الأخيرة, فظهور مثل هؤلاء المعلمين المتهودين مثلما كانوا يشكلون خطراً في زمان الكنيسة الأولى ، فقد تطور هذا الاتجاه ليكون في الديانة المسيحية خليطاً رهيباً من اليهودية والمسيحية. والنتيجة هي اتساع دائرة المعترفين بالمسيحية الذين اتخذوا الأنظمة والطقوس بدلاً من العبادة بالروح, وجعلوا أعمال الناس بحسب الناموس بدلاً من عمل المسيح بحسب الإنجيل، والتي تتوافق مع الإنسان بحسب الجسد ولكنهم لا يتعرضون لمسألة الولادة الثانية أو الإيمان الشخصي بالمسيح. وبعدما جعلوها على الطراز اليهودي فإن المسيحية أصبحت تحاكي المحلة اليهودية، لها صورة التقوى ولكنها تنكر قوتها. وبسبب هذا التشويش يحذرنا الرسول في بقية رسائله من الرجوع للوراء، وأن نخرج إلى المسيح "خارج المحلة حاملين عاره"(٢ تى ٣: ٥، عب ١٣:١٣).

(ع٤-٦) ويستمر بولس في عرض الصفات الباطلة لديانة الجسد إذ يسترجع حياته الخاصة قبل تجديده. فإذا كانت هناك أي ميزة في ديانة الجسد فستصبح أساساً لبولس يمكنه أن يستند عليه أكثر من الآخرين، فقد كان بلا منازع وبإخلاص رجلاً دينياً بحسب الجسد. وفي حالته نجد الطقوس الدينية بحسب الناموس في تطبيقها فقد كان مختوناً في اليوم الثامن، ويهودياً نقي السلالة. وبحسب حياته الدينية فقد ارتبط بالشيعة المستقيمة إذ كان فريسياً. ولا أحد يمكن أن يثير نقطة إخلاصه وغيرته، وللحفاظ على ديانته فقد اضطهد الكنيسة. وأما بحسب البر المتضمن في حفظ الناموس حفظاً خارجياً فقد كان بلا لوم.

(ع٧) هذه الأشياء جميعها كانت مكسباً له كإنسان طبيعي وأعطته مكاناً بارزاً بين الناس ولكن في اللحظة التي استحضر فيها ليرى المسيح في المجد عندئذ اكتشف أنه أول الخطاة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالرغم من كل امتيازاته الدينية وقد أعوزه مجد اللّه. وفضلاً عن ذلك فقد رأى أن كل بركة تعتمد على المسيح وعمله. وأن المكاسب التي تدعم مركزه كإنسان طبيعي إنما هي خسارة لأجل المسيح. كما أن ثقته في حقيقة كونه عبرانياً من العبرانيين وأنه بلا لوم من جهة البر الذي في الناموس، فهذا معناه استبعاد عمل المسيح بأعماله الذاتية وأنه يفرح بذاته عوضاً عن فرحه بالمسيح.

(ع٨-٩)وفضلاً عن ذلك فإنه لم يكن فقط يحسب أن أعماله بحسب الديانة الجسدية هي خسارة منذ وقت تجديده، بل أيضاً من خلال سيره في الطريق استمر يحسب ذلك خسارة، فهو عندما يتطلع إلى الماضي يقول"قد حسبته"، ويمكنه أن يقول في الحاضر أيضاً "إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة". وليس فحسب الأشياء التي تكلم عنها يحسبها خسارة بل "كل الأشياء" التي يفتخر بها الجسد والتي تعطيه مكاناً في هذا العالم. كان بولس رفيع الميلاد وله مركز اجتماعي مرموق، ومواطن طرسوسي (وطرسوس لا تعني فقط مدينة بل مواطنة)، وهو متعلم تعليماً عالياً ومتربياً عند رجلي غمالائيل. ومعروف جيداً لدى رؤساء اليهود، وقد عمل بطريقة رسمية تحت سلطانهم، أما معرفة المسيح يسوع الذي يتكلم عنه باعتباره "ربي" فهو الذي يجعله يطرح جميع هذه الأشياء في الظل. إن فضل المسيح وامتيازه إذا قورنت معه كل الأشياء التي يفتخر بها الجسد تحسب من الرسول وكأنها نفاية. و عندما نأتي إلى هذا التقدير للأشياء فلن تكون صعوبة أن ندعها تعبر، فمن منا يعترض أن نترك تلال النفايات خلف ظهورنا؟

وفي هذا النص الذي يفحصنا بعمق فإن الرسول يضع أمامنا اختباره الشخصي، ولكن نفعل حسناً أن نتحدى قلوبنا لنعرف إلى أي مدى نكون تابعين للرسول, لأنه إذ ندخل إلى فضل معرفة المسيح يسوع ربنا والذي عندما نقارن معه أي امتيازات عالمية لتعطينا مكاناً بين الناس فإننا نحسبها نفاية ونطرحها خلفنا. ومن الطبيعي فإننا نفتخر بأي شيء يميزنا عن جيراننا ويعطينا كرامة، سواء في المولد أو المركز الاجتماعي أو الثروة أو الذكاء. قال واحد مرة "أي شيء تزين به نفسك – ولو كانت معرفة الكتاب – فإنه تمجيد للجسد. وأي شيء ولو كان قليلاً فهو يكفي ليجعلنا نسَر بأنفسنا. وملاحظتنا لتقصيرات للآخرين كافية تماماً للشعور بأهميتنا" (يوحنا داربي). ومن خلال فضل معرفة المسيح نكتشف بطلان ديانة الجسد والأشياء التي نكتسبها لأنفسنا كأناس طبيعيين، وإذ المسيح في المجد كالغرض الوحيد فإن الرسول يعبَر بحرية عن رغبات قلبه إذ يربط كل شيء بالمسيح كما قال "لأربح المسيح وأوجد فيه" و"لأعرفه"، "لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعندما يقول الرسول "لأربح المسيح" فإنه يتطلع إلى نهاية الرحلة. إنه يجري في سباق ويرى أن الهدف يكون مع المسيح ومثل المسيح في المجد. والمسيح هنا هو المثال للحياة المسيحية. والمسيح في المجد هو غرضنا، ذاك الذي نسعى إليه.

في ذلك اليوم العظيم يمكن للرسول أن يقول "وأن نوجد فيه". وسيرى أن كل بركة مضمونة للمؤمن على أساس عمله على الصليب إنما ترى فيه في المجد، وسوف يعني هذا أن برنا فيه، إنه ليس البر الناتج من أعمالنا الخاصة بل البر الذي هو نتيجة ما عمله اللَه بالمسيح. لقد أسلم اللَه المسيح لأجل خطايانا وأقامه لأجل تبريرنا. والمؤمن يأتي إلى تلك البركة بالإيمان. إننا متبررون بالإيمان.

(ع١٠ و ١١) وفي ذات الوقت بينما يصمم على الوصول إلى المسيح فإن رغبة الرسول تعبَر عنها تلك الكلمات "لأعرفه" ونحن نريد أن نعرفه في كل محبته كما نتبينها في نعمة تواضعه وطاعته حتى الموت. نريد أن نعرفه في قوته الفائقة التي لنا كما نتبينها في قيامته. نريد أن نعرفه في مجده كالذي سنصبح مثله وسنبقى معه إلى الأبد. ولكي نعرفه في نعمة اتضاعه كالمثال لنا فإنه يعلمنا كيف نحيا لأجله، ولكي نعرفه في قوة قيامته فإنه سيمنحنا القوة لمواجهة الموت، وإذا تشبهنا ببولس فإنه يدعونا لألم الموت لأجل اسمه، ولكي نعرفه في المجد فإنه سيحفظنا مستمرين رغم كل المقاومات. إن رغبة الرسول العظيمة أن يصل إلى المسيح في المجد، ولهذه الغاية فقد أعَد لمشابهة المسيح في موته – وأن يموت لأجل جميع الذين مات المسيح لأجلهم, حتى ولو كان يعني هذا بالنسبة له موته كشهيد لكي يصل إلى حالة البركة للقيامة من بين الأموات.

(ع١٢) لم يزل بولس في الجسد ولذلك لم يدَع ولم يمكنه الادعاء بأنه قد نال المكافأة بأن يكون مع المسيح في المجد، وبالرغم من هذا فهي الغاية التي يسعى إليها. وفي سيره في هذا الطريق فإنه يسعى لتنمو معرفته بهذه الغاية المجيدة التي صارت من نصيبه بنعمة اللَه.

(ع١٣،١٤) ومع أنه لم ينل الجائزة ولم يدَع بأنه أدرك كل كمال تلك البركات المختصة بالمكافأة ولكن أمكنه أن يقول : "أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعله دعوة اللَه العليا في المسيح يسوع". وجميل لنا أيضاً إن كانت لنا مثل تلك النظرة للمسيح في المجد ومعرفة حقيقة الأمور التي هي قدام الرسول، وأن ننقاد إلى نسيان الأشياء التي هي وراءنا. إن بولس لم يحسب هذه الأشياء خسارة فقط بل نسيها أيضاً. ولا نستطيع نحن أن نفتخر بأشياء قد نسيناها.ومع كل بركة أخرى فإن دعوتنا العليا موضوعة لنا في المسيح.

(ع١٥-١٧) وبعدما وضع أمامنا الطريق الذي يسير فيه في هذا العالم، والروح التي يرتاد بها هذا الطريق، والغاية المجيدة التي يقوده لها الروح، فإنه يحرَضنا الآن إذ أن البعض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتمتع بهذا الاختبار المسيحي الكامل ليكون لهم نفس الفكر. وربما القليلون الذين اجتازوا هذا الاختبار المسيحي الناضج، ولهذا فإن اللّه قادر أن يقودنا ويعلن لنا البركات لمن ينسى ما وراء ويمتد إلى المسيح في المجد. ومع أنه قد تكون هناك اختلافات لتحقيق هذا الغرض الروحي، فليس من سبب لا يجعلنا نسير في ذات الخطوات. ربما واحد يرى الطريق بوضوح أكثر من غيره ولكن هذا لا يمنع أن نسير في ذات الطريق ونتطلع إلى ذات الاتجاه.

إننا نحرَض بأن نتبع الرسول في ذات الطريق الذي سار فيه، ولسنا فقط نتبعه بل أيضاً نتبعه معاً، ولنا فكر واحد وغرض واحد وبفكر الاتضاع الذي ينسى الذات وعيوننا على المسيح في المجد فإننا نجتذب بغرض واحد.

وعلينا أن نحدد هؤلاء الذين يسيرون هكذا. إنه ليس مجرد الاعتراف فقط أو الكلمات الجميلة التي ننطق بها ولكن الطريق الذي يتحدث عن حياة نعيشها و التي لها التقدير في نظر اللّه. وأمكن لبولس أن يقول "لي الحياة هي المسيح".

(ع١٨، ١٩) وبعد ذلك نحذَر، لأنه حتى في الأيام الأولى كان هناك كثيرون من المعترفين بين شعب اللّه، وكان سلوكهم يبرهن أنهم أعداء صليب المسيح ونهايتهم تكون الهلاك. إنهم بعيدون عن فكر التواضع الذي ينسى ما وراء، وعن التطلع إلى المسيح في مجده، وهم منصرفون إلى المشغولية بالأمور الأرضية. وإذا كان الرسول يحذر من مثل هؤلاء فإنه يحذر بالدموع. كان قد حذرنا من المعلمين المتهودين الذين ينادون بالديانة الجسدية. والآن يحذرنا من هؤلاء الذين يسعون أن يحولوا المسيحية إلى نظام متمدين ليقيم عالماً أفضل ومشرقاً. وهذا هو التفكير في الأرضيات. وهكذا يأتينا التحذير من عنصرين للشر ومنتشرين في الأيام الأخيرة, إحداهما تطالب بأن تكون المسيحية ديانة جسدية والأخرى تستخدمها لتحسين الجسد. وكلاهما يستبعد المسيح وعمله كما يستبعد الصفة المسيحية السماوية.

(٢٠، ٢١) وبالمباينة مع هؤلاء فإن الرسول أمكنه أن يقول عن المؤمنين أن روابطهم في السماء "التي منها ننتظر مخلصاً، الرب يسوع المسيح" فعند مجيئه ستتغير أجساد تواضعنا لتكون على صورة جسد مجده. هذا التغيير سيتم بالقوة حيث المسيح قادر "أن يخضع لنفسه كل شيء". إن كل قوة ضدنا سواء كانت الجسد الذي فينا أو الشرير الذي هو خارجنا أو العالم المحيط بنا أو حتى الموت- إنما المسيح قادر أن يخضع هذه القوى جميعاً. ولذلك فإنه في بداية الرحلة استحضرنا لإدراك شيئاً من فضل امتياز معرفة المسيح يسوع ربنا، وفي النهاية بدلاً من كل القوى المضادة فإننا سنكون معه في العلى و سنكون مثله لابسين أجساد المجد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنه بهذا الرجاء المجيد الذي أمامنا يمكننا أن نتحدى قلوبنا إذ نطرح هذا السؤال الذي قاله أحدهم **"هل المسيح ببساطة شديدة هو الغرض الوحيد المتفرد لنفوسنا، وبالتالي يصبح هو القوة لاستبعاد كل ما يلصقنا بالماضي وكل ما يوقعنا في شباك الحاضر مما يجعلنا نهرب من آلام الصليب، ونخشى كل خطط وتوقعات ومخاوف المستقبل؟"**.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإصحاح الرابع: المسيح هو فرح المؤمن

في الإصحاح الثاني استحضر الرسول أمامنا المسيح في نزوله من المجد إلى الصليب مما يجعل فكر التواضع هو ما يميز المؤمنين ليمكننا أن نصبح شهوداً حقيقيين للمسيح في العالم الذي نعبر فيه. وفي الإصحاح الثالث يوجه نظرنا للمسيح المرتفع في المجد كالرب وهو الغرض أمامنا حيث نرى النهاية المجيدة لسيرنا في تلك الرحلة. وفي هذا الإصحاح الختامي يعطينا تحريضات عملية تميز الحياة اليومية لأولئك الذين صار المسيح أمامهم كالنموذج والغرض الوحيد، ويستحضر المسيح كالذي يمنحنا قوة في كل شيء.

(ع١) أولاً نحرض أن نثبت في الرب. فالشرور التي نواجهها سواء من الجسد في داخلنا والشرير من الخارج أو العالم المحيط بنا، هي شرور قوية جداً علينا، ولكن الرب قادر أن "يخضع كل شيء لنفسه". ولم يطلب منا كما أنه من غير المتوقع أن نهزم بقوتنا أو بحكمتنا، بل أن نثبت في الرب وفي شدة قوته.

(ع٢، ٣) وثانياً نحرَض بأن يكون لنا فكر الرب. كان هناك اختلاف في الحكم والتقدير بين امرأتين تقيتين في فيلبي، والرسول سبق ورأى كيف أن حكم القديسين في ظرف ما قد يبدو أن له أهمية بسيطة ولكنه يقود بسهولة إلى حزن وضعف عظيمين "هوذا نار قليلة أي وقود تحرق" (يعقوب ٣: ٥).

والرسول الذي يعرف كيف يأخذ الثمين من الغث لم يتجاهل تقوى هاتين الأختين اللتين جاهدتا معه لأجل الإنجيل أثناء مواجهته للمقاومات و اللعنات والاضطهادات. وحقيقة تقواهن بالتأكيد أضافت إلى أحزانه حزناً إذ وجد الخلاف بينهما حول أمور الرب ومسرَاته ولذلك ليس فقط يلتمس منهن أن يكَن بفكر واحد بل أيضاً يستعطف أبفرودتس ليساعدهن. وفي سعيه لكي يساعدهن فليتذكر أبفرودتس أن أسماءهن في "سفر الحياة". وبين شعب اللّه ليس كثيرون مدعوين "حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء"، ولكن هل نستخف بأي ممن يكون اسمه مكتوباً في سفر الحياة؟

(ع٤) وثالثاً فإننا نحرض "افرحوا في الرب كل حين". كان الرسول قد حرَضنا بأن نفرح في الرب, ولكنه مرة أخرى يقول ليس فقط "افرحوا" بل "افرحوا كل حين". وكيفما كانت ظروفنا مؤلمة، وكيفما كانت مقاومة العدو شديدة، وكيفما كان انكسار القلب على الفشل بين شعب الرب, فإننا نفرح بالرب دائماً. ونستطيع أن نقول له "أنت تبقى" و "أنت هو هو".

(ع٥) ورابعاً بالإشارة إلى العالم الذي نجتازه بكل فساده وظلمه ، فإن التحريض "ليكن حلمكم معروفاً لجميع الناس". إن الرب يتعامل في وقته مع هذه الشرور جميعها لكي تأتي البركات من ورائها، فمجيئه قريب. إنه ليس للمؤمنين أن يتدخلوا في حكم العالم وليس لهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن يؤكدوا على حقوقهم ويحاربون لأجلها. إن امتيازنا ومسؤليتنا أن نستحضر المسيح ولذلك نظهر اللطف الذي يميز الرب. ويقول المرنم "لطفك يعظمني" (مز١٨: ٣٥). فإذا كنا نؤكد على أنفسنا ونقاوم أحكام العالم فإننا نتصاغر في عيني العالم. أم إذا أظهرنا لطف المسيح فإن العالم يصعب عليه أن يديننا، كما قيل "اللطف لا يقاوم".

(ع٦، ٧) وخامساً بالنظر إلى التجارب والضرورات اليومية واحتياجات الجسد بالارتباط مع الحياة الحاضرة فإننا نجد الراحة من القلق والهم إذ نجعل هذه الأشياء جميعها معروفة لدى اللَه. ونتيجة ذلك ليس أن كل طلباتنا تجاب فقد لا يكون هذا لخيرنا أو لمجد اللَه، بل إن القلب يجد راحة من ثقل الهموم ويحفظ في سلام هادئ.. "سلام اللَه الذي يفوق كل عقل". "لا تهتموا بشيء" إنها لا تعني اللامبالاة تجاه الأشياء بل إنه بدلاً من القلق المستمر لمطالب اليوم وخوف الغد فإننا نسكب مطالبنا للَه وهو يسكب بلسم السلام في نفوسنا. وبالمسيح يسوع يمكننا الاقتراب إلى اللَه، وبه أيضاً يمنح اللَه البركة لنا.

(ع٨) وسادساً إذ نجد الراحة من همومنا فإن أفكارنا سوف لا تحفظ في السلام فقط بل أيضاً تتحرر لكي تكون لها المشغولية بكل الأشياء التي يسر اللَه بها. إن العالم الذي نسير فيه الآن يتميز بالظلم والفساد، ولقد دعينا لكي نرفض الشر، ولكن لنحذر لئلا تتنجس أفكارنا بالشر السائد في العالم. إنه حسن لنا أن نكره الشر ونخافه وأن نحب الخير ونختاره. فإذا انضبت أفكارنا بروح اللَه أفلا تنشغل وتسَر بكل هذه الأمور المباركة التي نراها بصورة كاملة في المسيح. أفليس هو فيه كل حق وما هو جليل وعادل وطاهر ومسَر وصيته حسن وفضيلة وكل ما فيه يستدعي المدح والتسبيح؟ أفلا يقال أن المشغولية بهذه الأمور تعني أن أفكارنا تسَر بالمسيح؟

(ع٩) سابعاً وإن كان يحرضنا على الأشياء التي يجب أن نفكر فيها فإن بولس يحرضنا كذلك لما يجب أن نفعل. ففي حياتنا العملية علينا أن نعمل متشبهين بما عمله الرسول. لقد قال "أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة اللَه العليا في المسيح يسوع". وهكذا بالسير فإننا لا نتمتع في أنفسنا فقط بسلام اللَه بينما نسير في عالم الأحزان ولكن سنمتلك معنا إله السلام – سلام اللَه يحفظ نفوسنا في الهدوء وحضرة اللَه تؤازرنا في ضعفنا.

وكيفما كانت الظروف والتجارب التي نجتازها، وكيفما كانت رعبة الشرور في العالم وفساد المسيحية والفشل بين شعب اللَه، ومهما تعاظمت قوة العدو، وواجهنا اللعنات والتغييرات، فكم سيصبح أمراً مباركاً لو كانت حياتنا تسير وفق تلك التحريضات:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١) أن نثبت في الرب

(٢) أن يكون لنا الفكر الواحد في الرب

(٣) أن نفرح في الرب دائماً

(٤)أن نظهر لطف الرب لجميع الناس

(٥) أن نطرح كل همومنا على اللّه بالصلاة

(٦) أن تكون أفكارنا مشغولة بما هو صالح كما نجده في المسيح

(٧) أن نكون محكومين في كل ما نفعل بالمسيح غرضنا الواحد

(ع١٠- ١٣) في الأعداد الختامية للرسالة نرى في بولس واحداً ممن ارتفع فوق ظروفه. لقد طرح كل أعوازه على اللّه ويمكنه الآن أن يفرح بأن الرب قد أعطى هؤلاء القديسين المحبة والفرصة للعناية به في كل صعوباته ومساعدته إزاء أعوازه.

ومع ذلك فقد أعطى لنا أن نرى في الرسول قديساً قد ارتفع فوق الظروف، إذ عرف كيف يتضع وكيف يستفضل (أو يزيد)، كيف يشبع وكيف يجوع، وكيف يستفضل وكيف ينقص. فمثل هذه المعرفة التي اكتسبها بالاختبار وبالقيادة الإلهية جعلته يقول "قد تعلَّمت" و "قد تدرَبت". وإذا كان اللّه يسمح لنا أن نجتاز ظروفاً تفحصنا إنما لكي تعلَّمنا قال واحد "إذا استفضلت فإن اللّه يحفظني من الكسل واللامبالاة والاكتفاء بالذات، وإذا جعت فإنه يحفظني من الإنطراح وعدم الاكتفاء" (يوحنا داربي)

ولذلك أمكن لبولس أن يقول "أستطيع كل شيء" أو بالحرى" لي القوة في جميع الأشياء"، ويضيف هذه القوة هي "في المسيح" إنه لم يقل "لي القوة في ذاتي" أو "أستطيع بذاتي" بل "في المسيح الذي يقويني".

(ع١٤- ١٨) ومن خلال اعتماده على المسيح لمواجهة احتياجاته كلها فقد رفع عالياً فوق تأثيرات الناس لكي يحصل على عطفهم ومعونتهم. ومع ذلك فإن القديسين الفلبيين "فعلوا حسناً" في تسديد أعواز الرسول. والمحبة التي آزرت تلك العطية صعدت كثمر للّه متكاثراً لحسابهم، فهي "ذبيحة مقبولة مرضية عند اللّه".

(ع١٩و ٢٠) ومن اختباره لصلاح اللّه أمكنه أن يقول بثقة "فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع" يمكننا أن نجد الراحة إزاء كل قلق بأن نجعل كل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعوازنا معروفة لدى اللّه بالمسيح يسوع. واللّه يكثر ويملأ احتياجاتنا بالمسيح يسوع. أنستطيع أن نقول مع الرسول "وللّه وأبينا المجد إلى الداهرين آمين".

(ع٢١- ٢٣) والتحية الختامية تعطي صورة جميلة للشركة المسيحية في الكنيسة الأولى، والتقدير الذي يكنه الرسول لهؤلاء القديسين فهو لم يرسل التحية فقط إلى "كل قديس في المسيح يسوع"، بل أيضاً "يسلم عليكم جميع القديسين" ويختم بالقول "نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم (أو مع روحكم)". إننا نحتاج إلى رحمة اللّه لمواجهة احتياجات أجسادنا ونعمة ربنا يسوع المسيح لحفظ أرواحنا".

كم هو أمر مبارك أن نجد مستعلناً أمامنا من البداية إلى النهاية في تلك الرسالة الجميلة. في الإصحاح الأول المسيح هو حياتنا وهو يقود المؤمن أن يرى كل شيء بالارتباط به (١: ٢١). وفي الإصحاح الثاني المسيح مثالنا في تواضعه لكي يوحدنا جميعاً معاً في فكر واحد (٢: ٥). وفي الإصحاح الثالث المسيح هو غرضنا في المجد ليمكننا أن نغلب كل المقاومات (٣: ١٤). وفي الإصحاح الأخير المسيح هو قوتنا لمواجهة احتياجاتنا (٤: ١٣).

وفضلاً عن ذلك نتعلم من الرسالة أن نتمتع بالاختبار إذ سرنا في هذا العالم بقوة الروح والمسيح أمامنا. ونختبر مع الرسول الفرح في الرب (١: ٤، ٣: ١- ٣ ،٤: ٤و١٠)، والثقة في الرب (١: ٦)، والسلام الذي يفوق كل عقل (٤: ٧)، والمحبة بعضنا لبعض (١: ٨، ٢: ١،٤: ١) والرجاء الذي يتطلع إلى مجيء الرب يسوع (٣: ٢٠)، والإيمان الذي يستند على مؤازرة الرب (٤: ١٢و١٣).

يا يسوع فيك اكتفائي

إذ تملأ فكري و كياني

وحياتك الصابرة- تهدئ نفسي

ومحبتك الغنية- تطرد مخاوفي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com